



«زيتاك» في نيويورك و«رجك» أبيض في لبنان

محمد نزال

ربما يكون «الشعب» اللبناني هو الوحيد . على مستوى العالم الذي يقوم أشخاص آخرون من جنسيات أخرى، بجمع نفاياته. هذه «الفرادة» تجعله أرفع من مهنة «جمع النفايات»... في بلاده حصراً، لكونها لا تناسب «البرستيج». لكن، ماذا لو سافر إلى خارج الحدود اللبنانية وتسكع هناك بلا عمل؟ ربما، ستجده حينها من أشهر «الزبّالين». المهم ألا تقع عين لبناني آخر عليه. لا تعود المهنة «وضيعة»، سواء مسح صحون الأوروبيين أو ارتدى «روب» عمال النظافة، أو حتى غاص في مجاري الصرف الصحي. العمل هناك «شريف» أما في بلاده ف... «يا عيبو!» يدرك أن رؤية

الأجانب له، أثناء كدحه، تختلف عما هي في بلاده. الأجنبي «ذو نزعة إنسانية» (نظرية الرجل الأبيض التي تبهر اللبنانيين)، وتالياً، اللقب هناك لن يكون «الزبّال»، بل عامل نظافة، يتمتع بكرامته الإنسانية، كأي مواطن آخر، له حقوق وعليه واجبات». وتلك «ثقافة»، خبرها كمال، يوم تاه في أوروبا، وراح ينتقل بين دول اتحادها متسللاً الحدود. عاش فيها سنوات كثيرة، ورأى كيف أن بعض اللبنانيين، العاملون في النظافة تحديداً، يتحاشون عيون اللبنانيين أمثالهم أثناء العمل وأحياناً يُغطّون وجوههم بالثياب أو يشيخون بملامحهم جانباً، إن باغتهم أحد على حين غفلة، ما سرّ تضخم «إيغو» اللبناني؟ من الذي أقنعه بأنه «متفوق» بإمكانه

«الترفع» عن العمل؟ لا تزال هذه المعادلة، في نظر كمال، اللبناني الأرعين، غير مفهومة. في بلاد أخرى، مثل اليابان، تُقام لـ«مهندس النظافة» (كما يسمّونه هناك) تماثيل من ذهب. يُقال إن راتبه الشهري يصل إلى حدود الثمانية آلاف دولار. يعرف اليابانيون، أنه لولا ذلك العامل لغرقت البلاد في القمامة، ولما استطاعوا العيش من دونه، وبالتالي يصبح هنا في منفعة مناقساً للرئيس والوزير والنائب والقاضي والضابط والمدير. هو «وجود الضرورة» عندهم، وهكذا وجود يوجب الاحترام، فضلاً عما له من حق الاحترام لكونه إنساناً. مهلاً، أين اللبناني (مش هيئة تكون لبناني من كل هذا؟ أين «مستبَع

الكارات» من هذه الثقافة؟ كيف أصبح «الغريب» هو المنوط به جمع القمامة، في لبنان، لا أحد يعرف سؤال آخر: كيف تحوّلت إمبراطورية «سوكلين» إلى ساحة للعمال الأجانب - والأجانب هنا لا تشمل «الرجل الأبيض» حتماً - في حين يغيب العامل اللبناني عنها إلا نادراً؟ الجواب: لا مكان لأبناء «وطن النجوم» هنا. لكن مهلاً، سابقاً لم يكن هناك «سوكلين» ولا سواها من شركات أعمال النظافة، تحديداً قبل مرحلة الحرب الأهلية، فمن كان يؤدي المهمة؟ كثيرون اليوم لم يسمعوا عبارة «إجت البلدية»، ظلت هذه العبارة لسنوات طوال هي الإشارة إلى تلك الشاحنة، التي كانت غالباً صفراء اللون، لا خضراء، ولم يكن عليها أي كتابات لاسم شركة

يقال إن راتب عامل النظافة في اليابان يصل إلى حدود الثمانية آلاف دولار شهرياً

النظرة الدونية إلى عامل النظافة، في لبنان، لم تكن يوماً نظرة إنسانية. فهنا هو «الزبّال»، لا مهندس النظافة